﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه: 57 - 58]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

بـئـس المـتـكـبِّرُ في انـفـعـالِه مع رسائلِ الله إليه

لَمَّا ذكر في الآية السابقةِ إراءتَهُ فرعونَ الآياتِ كلَّها، العامَّ منها والخاصَّ؛ أخبرَ هنا عن كيفيَّةِ استجابة فرعونَ بعد رؤيته الآياتِ، وبلاغِ موسى عليه السلام إليه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِسِحْرِكَ﴾: (سحر) أَصْلٌ يدلُّ على خَدْعٍ وشِبْهه[1]، وحقيقةُ السِّحْرِ صَرْفُ الشَّيءِ عن حَقيقَتِه إلى غَيْرِه، فكأَنَّ السَّاحِرَ لَمَّا أَرَى الباطلَ في صورَةِ الحَقِّ، وخَيَّلَ الشَّيءَ على غيرِ حَقيقَتِه، قَدْ سَحَرَ الشَّيءَ عن وجْهه، أَي: صَرَفَهُ[2]، تَقول العَرَبُ للرَّجُل: ما سَحَرَكَ عَن وجْه كَذا وكَذا؟ أَي: ما صَرَفَك عَنهُ[3]، والسِّحْرُ: الأُخْذَةُ، وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُهُ، ودَقَّ؛ فهو سِحْرٌ، والجَمعُ أَسحارٌ وسُحورٌ، ورجلٌ ساحِرٌ مِنْ قَوْمٍ سَحَرَةٍ، والسِّحْرُ أيضًا: البيانُ في فِطْنَةٍ[4]، والمُرادُ به في الآية: الأُخذَةُ؛ إذ يَقْتَضي أَنَّ موسى أَراهُ آيَةَ انْقِلابِ العَصا حَيَّةً، وانْقِلابِ يَدِه بَيْضاءَ، فأُخِذَ فرعونُ ممَّا رأى؛ وذَلِكَ ما سَمَّاهُ فِرْعَوْنُ سِحْرًا.

2) ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾: أصلُ الإتيانِ: مجيءٌ بسهولةٍ، ومنه قيلَ للسَّيل

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سحر).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (سحر).
(4) ابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس: (رهق).

المارِّ على وجهه: أَتيٌّ وأَتاويٌّ، والإتيانُ قد يُقالُ للمجيء بالذَّات وبالأَمر والتَّدبير، ويُقالُ في الخير، وفي الشَّرِّ، وفي الأَعيان، وفي الأَعراض، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 1]، وقوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [النحل: 26]، وقوله: ﴿أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 40][1]، وتقول: أَتَيْتُ الأمرَ من مَأْتاتِه، أي: من مَأتاهُ، أي: من وجهه الَّذي يُؤتى منه[2]، ويُقالُ: تَأَتَّ لِهَذا الأَمرِ، أَيْ: تَرَفَّقْ لَهُ، والإيتاءُ: الإعْطاءُ[3]، ومَعْنَى إتْيانه بالسِّحْرِ: إحْضارُ السَّحَرَةِ بَيْنَ يَدَيْه، أَيْ: فلَنَأْتِيَنَّكَ بسِحْرٍ مِمَّنْ شَأْنُهُم أَنْ يَأْتوا بالسِّحْرِ، إذِ السِّحْرُ لا بُدَّ لَهُ مِنْ ساحِرٍ[4].

3) ﴿مَوۡعِدًا﴾: (وعد) أَصْلٌ يَدُلُّ على تَرْجيَةٍ بقَوْلٍ، يُقالُ: وعَدْتُهُ أَعِدُهُ وعْدًا، ويَكونُ ذَلِكَ بخَيْرٍ وشَرٍّ، فأَمَّا الوعيدُ؛ فلا يكونُ إلَّا بشَرٍّ، يقولونَ: أَوعَدتُهُ بكذا[5]، والموعِدُ: مَوضِعُ التَّواعُدِ، وهو الميعادُ، ويكون المَوعدُ مصدرَ (وعدْتُهُ)، ويكون المَوعدُ وقتًا للعِدَة، والموعدةُ أَيْضًا: اسْم للعِدَة، والميعاد لا يكون إلَّا وقتًا أَو موضعًا[6]، والمَوْعِدُ في الآية يَجوزُ أَنْ يُرادَ به المَصْدَرُ الميميُّ، أَي: الوعْدُ وأَنْ يُرادَ به مَكانُ الوعْدِ، وهَذا إيجازٌ في الكَلام[7].

4) ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾: (خلف) أَصْلٌ يَدُلُّ على مجيءِ شَيْءٍ بَعْدَ شَيْءٍ يَقومُ مَقامَهُ[8]، فالخَلَفُ: المُتأَخِّرُ، سواءٌ كان تَأَخُّرُه في الزَّمَن، أم في الرُّتبَة[9]، والخلف من قَوْلهم: وعَدَني، فأخلفني إخلافًا، والخلفُ الاسْم، والإخلافُ المصدرُ[10]، وضِدُّ الخَلَف: السَّلَفُ، وهو: كُلُّ مَن سَبَقَكَ، وأَمَّا قَوْلُهُمْ: اخْتَلَفَ النَّاسُ في كَذا، والنَّاسُ خِلْفَةٌ، أَيْ: مُخْتَلِفونَ، فمِنَ هذا البابِ؛ لِأَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُم يُنَحّي قَوْلَ صاحِبِه، ويُقيمُ نَفْسَهُ مُقامَ الَّذي نَحَّاهُ[11]، والمُرادُ بالإخْلافِ في الآية: أَن يَعِدَ الرَّجلُ الرَّجلَ العِدَةَ، فلا يُنْجِزُها، والنَّهْيُ تَحْذيرٌ مِنْ إخلافِه.

5) ﴿سُوًى﴾: (سوي) أَصْلٌ يَدُلُّ على اسْتِقامَةٍ واعْتِدالٍ بَيْنَ شَيْئَيْن، يُقالُ: هذا لا يُساوي

(1) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (أتي)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 2/ 43.
(2) الجوهري، الصحاح: (أتي).
(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (أتي).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 244.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (وعد).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 245.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).
(9) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).
(10) الخليل، العين: (خلف).
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).

كذا، أَي: لا يُعادِلُهُ، وفُلانٌ وفُلانٌ على سَوِيَّةٍ مِنْ هذا الأَمرِ، أَيْ: سَواءٍ[1]، والتَّسْوِيَةُ: ضِدُّ المُفاضَلَةِ، وتأْتي بمعنى العَدْلِ والإِنْصافِ، فيُقال: سَوَّيْتُ بين الشَّيْئَيْنِ؛ إذا عَدَلتُ بَيْنَهُما[2]، وهي أيضًا: تَقْويمُ الشَّيءِ وتَعْديلُهُ، تقولُ: سَوَّيْتُ الشَّيْءَ، فاسْتَوى، أَيْ: قَوَّمتُهُ، فاسْتَقامَ[3]، والسَّوِيُّ يُقالُ فيما يُصان عن الإفراط، والتَّفريط من حيثُ القَدْرُ، والكيفيَّة، ورَجُلٌ سَوِيٌّ: استوت أخلاقُهُ وخِلقتُهُ عن الإفراط والتَّفريط، والمراد بـ﴿سُوًى﴾ في الآية: اسْمُ وصْفٍ مُشْتَقٌّ مِنَ الاسْتِواءِ: فيَجوزُ أَنْ يَكونَ الاسْتِواءُ اسْتِواءَ التَّوسُّطِ بَيْنَ جِهَتَيْنِ مَكانًا مُسْتَوِيًا، أَيْ: لَيْسَ فيه مُرْتَفَعاتٌ تَحْجُبُ العَيْنَ، أَرادَ مَكانًا مُنْكَشِفًا لِلنَّاظِرينَ لِيَشْهَدوا أَعْمالَ موسَى وأَعْمالَ السَّحَرَةِ[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

طَلَبُ فرعونَ من موسى الموعدَ لإيهام النَّاس بمدى الثِّقة به وبكمال اقتداره

يذكرُ اللّه تعالى ما قاله فرعونُ لموسى ﷺ على سبيلِ التَّهديدِ والوعيدِ، فيقولُ: قال فِرعَونُ: هل جِئتَنا - يا موسى - لِتُخرِجَنا مِن ديارِنا بِسِحرِك هذا؟ فلَنأتينَّك بِسِحرٍ مِثلِ سِحرِك، فحدِّدْ بيننا وبينك وقتًا معيَّنًا ومَكانًا محدَّدًا نجتَمِعُ فيه، فننظُرُ أيُّنا يغلِبُ الآخَرَ، لا نُخلِفُه نحن ولا أنت، في مكانٍ وسَطٍ بيننا.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقع جملة: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾ ممَّا قبله:

تعديدُ المقولاتِ موجبٌ للفصل؛ لأنَّه من تقاسيمِ الحوار

جملةُ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾ استئنافٌ بيانيٌّ لكيفيَّة تكذيب فرعونَ وإبائه[5] في قوله: ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾، فبينهما شبهُ كمالِ اتِّصالٍ، ولذلك فُصِلَتْ، فجملةُ الاستئنافِ البيانيِّ لا توصل بالعاطف، لكونها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (سوا).
(3) الجوهري، الصحاح: (عدل).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 246.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 23.

جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ: فكيف كان تكذيبُهُ وإباؤُهُ؟ أو ماذا قال بعد أنْ كذَّبَ الآياتِ، وأبى قبولَها؟ فأجيب: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾، وهذه الجملةُ من تمام مقولاتِ فرعونَ في محاورتِه موسى عليه السلام، وتعديدُ المقولات موجبٌ للفصل؛ لأنَّهُ من تقاسيم الحوار، وكلُّ قسْمٍ هو شروعٌ جديدٌ في معناه ومَغزاه، فاستحقَّ الاستئنافَ على الفصل والمقصود بالمقولات: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ [طه: 49]، ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: 51]، ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾، ويُلحظُ أنَّ كلَّ مقولةٍ منها مشتملةٌ على إنشاء سؤالٍ، والمسألةُ من دواعي الفصل.

دلالةُ الفعلِ الماضي ﴿قَالَ﴾:

سياقُ فعلِ القول بصيغة الماضي فيه إشارةٌ إلى سبْقِ إصرارِه وتحقيق قصدِه؛ لأنَّ القولَ إبرازٌ باللَّفظ لما حصل في النَّفس من مُعتقَدٍ وقصد[1]، فالفعل ﴿قَالَ﴾ يدلُّ على أنَّ مَقالَةَ فرعونَ كانت عن تدبيرٍ وتقديرٍ، وهذا من طبائعِ الملوكِ وذوي السُّلطةِ ألَّا يتكلَّموا إلَّا عن حيلةٍ وحكمةٍ وسياسة.

من طبائعِ الملوك وذوي السُّلطةِ ألَّا يتكلَّموا إلَّا عن حيلةٍ وحكمةٍ وسياسةٍ

سرُّ إضمارِ الفاعل العائدِ على فرعونَ:

إضمارُ الفاعل العائدِ على فرعونَ، في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا﴾؛ لتعيُّنه والعِرفانِ به، وعدم التباسِه وخفائه، فكان الفاعلُ بالإضمار أحقَّ إيجازًا واختصارًا وإسراعًا إلى الغرض والمضمون بتقصير الكلام وطيِّ ما في إضماره غُنيَةٌ عن إظهاره.

الإيجازُ لغرض الإسراعِ إلى إبراز الغرض

دلالةُ إسنادِ المجيء إلى ضمير الخطابِ المتَّصل:

قولُهُ: (جئت) تعريضٌ بأنَّ المجيءَ منه، لا بتكليفٍ من الله الَّذي أرسله للبلاغ والهداية.

أهلُ البهتانِ هم أعداءُ البرهان

نكتةُ اتِّصال الفعلِ بضمير الجمعِ:

اتِّصالُ الفعل بضمير الجمع من كلام فرعونَ في قوله: ﴿أَجِئْتَنَا﴾

(1) الراغب، المفردات: (قول).

للدَّلالة على التَّعظيم، فيقصدُ نفسَهُ، أي: جئتَ تريدُ الانقلابَ على النِّظام، وهو - أي: فرعونَ - النِّظام والكيان؛ لأنَّه رأسُ الحكم والأمر، فقوامُ النِّظام به، ونزَّلَ نفسَهُ منزلةَ الدَّولة بكاملِها، فعبَّرَ بالضمير الجمعيِّ إعظامًا منه لذاتِه، والقرينةُ - في أنَّ الضَّميرَ للتعظيم لا المشاركة الجمعيَّةِ - استصحابُ الحال، وهو أنَّ موسى لم يصدر عنه ما يُشَمُّ منه إخراجُهم من أرضِهم، ويجوزُ أن يكونَ ضمير المتكلِّم المشارك مستعملًا في الجماعة تغليبًا، ونزَّل فرعونُ نفسَه واحدًا منها، وأرادَ بالجماعة جماعةَ بني إسرائيلَ حيثُ قال له موسى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: 47]، أي: جئتَ لتخرجَ بعضَ الأمَّة من أرضنا، وتطمعَ أن تتَّبعك جميعُ الأمَّةِ بما تُظهرُ لهم من سحرك[1].

استصحابُ الحالِ أحدَ القرائن المؤثِّرة في البيان

دلالةُ الهمزةِ في: ﴿أَجِئْتَنَا﴾:

همزةُ الاستفهام في: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه وادِّعاءِ أنَّه أمرٌ محال، فهو استفهامٌ مجازي، خرج عن حقيقتِه في طلبِ الفهم والعِلم إلى الإنكار والاستهجان، على طريقة المجاز المرسلِ لعلاقة الإطلاقِ والتقييد[2].

الاستفهامُ بقصد الإنكارِ وادِّعاء المُحال

بلاغةُ إدماجِ التعريضِ في البهتان:

قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا﴾ مشتملٌ على الكنايةِ بالتعريض بموسى عليه السلام في نسبتِه إلى الدّوافع الخبيثة والطّوايا المغرضة، فهو ما رجعَ إليهم إلَّا لاستفزازهم من أرضهم، وبناءُ هذا التعريض فُرِّعَ عن البهتان بمحاولة المُحال[3]؛ لأنَّ إخراجَ النَّاس من ديارِهم ليس بمقدور فردٍ، وليس في دعوة موسى عليه السلام ما يُشمُّ منه رائحةُ ذلك[4]، فكان ذلك من فرعونَ بهتانًا بموسى، بنَى تعريضَه به عليه، فأدمجَ

الأفكارُ قوَّةٌ مركزيَّةٌ في البناء أو الهدم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 244.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 528.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 528.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 244.

في تركيب: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ كنايتين: كنايةً عن التعريض والتُّهمة على قصد فرعون، وكنايةً عن البراءة من البهتان بقرينةِ مقالِ موسى عليه السلام ومقامِه.

سرُّ استعمالِ الفعل المضارع:

انتقاءُ الحيَلِ أمارةُ تفوُّقِ المُحتالِ في الشَّرِّ

التَّعبيرُ عنِ الإخراج بالفعل المضارع في قوله: ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾ لكونه عبارةً عن تدبيرٍ لم يتمَّ بعدُ، فما زال بصدد المزاولة والمحاولة، وللدَّلالة على تجدُّد وضع الخطرِ المحدقِ بمُلكه، وتصوير مدى خوفه ورعبه.

دلالةُ اعترافِ فرعونَ بالملكيَّة الجماعيَّة للأرض مع قومه:

المستبِدُّ الأنانيُّ يَهرَع لجماعته؛ إذا حـدَّق به الخطرُ

على اعتبار أنَّ الضميرَ في: ﴿أَجِئْتَنَا﴾، ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾، ﴿أَرْضِنَا﴾ للمشاركة الجمعيَّةِ لا للتعظيم الفرديِّ، فيكون ذلك اعترافًا من فرعونَ بالملكيَّةِ الجماعيَّةِ للأرض مع قومه، على خلاف طريقته في الاستبداد الأحاديِّ في قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: 51]، وهذا الاعترافُ ليس على حقيقته في قصد فرعونَ، بل هو اعترافٌ اضطراريٌّ يلجأ إليه كلُّ طاغية عند تحديق الخطر به، بأن يَقْذِفَ بالمخاوفِ على قومه، ليستحثَّهم على المواجهةِ ساعةَ الخطرِ، ولكنَّه ينساهم، ويستأثِرُ عليهم حالَ أمنِه، وهذا من تمام الوضاعةِ ووقاحةِ الطَّبْع وتناقُضِ المنطِق وافتضاح الوجوه، الذي يُزاوِلُهُ كلُّ طاغٍ ممقوت.

سرُّ جعلِ علَّةِ المجيءِ الإخراجُ من الأرض:

الإخـــراجُ مِـنَ الوطن كرهًا أخو القتل

جعلَ فرعونُ الإخراجَ مِنَ الأرض موضوعَ بهتانِه لموسى، وعبَّرَ عنهُ بطريق الجمع: ﴿لِتُخْرِجَنَا﴾؛ ليحملَ قومَهُ على غاية المَقْتِ لموسى عليه السلام بإبرازِ أنَّ مرادَهُ ليس مجرَّدَ إنجاءِ بني إسرائيل من أيديهم، إنَّما إخراجُ القبطِ من وطنهم وحيازةُ أموالهم وأملاكهم بالكليَّة حتى لا

يتوجَّهَ إلى اتِّباعه أحدٌ، ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة؛ إذ الإخراجُ من الوطن أخو القتل[1].

معنى الباء في: ﴿بِسِحْرِكَ﴾:

الباءُ في قوله: ﴿بِسِحْرِكَ﴾ سببيَّةٌ، فجُعِلَ الإخراجُ بسبب السِّحر، أو هي باءُ الاستعانة الدَّالَّة على الآلة، أي: أداتُك في إخراجِنا سِحرٌ تستعينُ به، ونكتةُ التَّعبيرِ بهذه الباء: التعلُّلُ والتحيُّر بما لا أصل له؛ إيماءً إلى أنَّه علِم كونَهُ مُحِقًّا حتّى خافَ منه على ملكِه، فإنَّ السَّاحرَ لا يقدر أن يُخرِجَ مَلِكًا مِثْلَ فرعون من أرضِه[2]، وليس بالسِّحر تُنتزَع المالِك.

ليس بالسِّحرِ تُنتزَعُ المالِك

سرُّ إضافةِ السِّحر إلى ضمير موسى:

إضافةُ السِّحر إلى ضمير موسى ﷺ في قوله: ﴿بِسِحْرِكَ﴾ للتَّقليلِ والتهوين، وهو قصْدُ تحقيرِ شأن هذا الَّذي سمَّاه سحرًا، فيما زعمَه على ما أتى به موسى من الآيات، واستفادةُ التحقير ظاهرٌ بقرينة ما بعده من تنكيرِ السِّحر في جملة التَّحدّي بالنَّظير: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾، أي: سحرٍ عظيمٍ كاملٍ يَتفوَّقُ في المقدار، مِثْل سحرك في الجنس والحقيقةِ.

جُبِلَتِ النُّفوسُ على كراهيةِ السَّاحر

دلالةُ جملةِ الاعتراض ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾:

مجيءُ جملةِ النِّداء ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ مختومًا بها التحدّي بالسِّحر في خطاب فرعونَ، تحتملُ ثلاثة أمور:

الأوَّل: التَّهوينُ والتَّنبيهُ على أنَّه مُستقِلٌّ له لإحاطته بأمره، أي: يا موسى أنت الذي نعرفه، وربَّيناه على أعيننا، فيَدُنا عليك، وأمرك إلينا.

الثاني: التحسُّر والامتعاض، أي: يا موسى، يا مَنْ ربَّيناه، فاستقوى علينا، فيا بُعدك عنَّا ويا حسرتنا منك!

انهيارُ نفسيَّةِ الطاغية إذا هُدِّد في نفوذه ومُلكِه

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 528.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 30.

الثالث: إلفاتُهُ إلى سابق منَّتِه عليه بما يزجره، ويُخجِله عن استمراره فيما هو بصدده.

دلالةُ النِّداء في سياق الخطاب: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾:

الاستعارةُ التَّمثيليَّةُ في تركيب النِّداء

النِّداءُ في قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ مجازٌ مرسل، علاقتُهُ الإطلاقُ والتقييد، فليس على حقيقته في طلب الإقبالِ واستدعاء المنادَى، بل المرادُ منه التعريضُ باقتداره عليه وتمكُّنِه منه انتصارًا لنفسه أمام الملأ الحاضرين، فهو كالمطلوب القريبِ في النِّداء والاستدعاء، ويصحُّ حملُ تركيبِ النِّداء على الاستعارة التمثيليَّةِ بتشبيه حال موسى في استنباه فرعونَ له، فهو مطلوبٌ لغرضِ فرعونَ فيه بالامتنان والتعريضِ والتهديد بحال المنادَى المطلوبِ إقبالُهُ على غرضِ مُناديه.

دلالةُ العطفِ بالفاء في: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ﴾:

الفاءُ حرفٌ يدلُّ على كمال الربط والاتِّصال

الفاءُ في قوله: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ﴾ عاطفةٌ مدخولَها على جملة: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا﴾، ومعناها السببيَّةُ لترتيب ما بعدَها على ما قبلَها، أي: بسببِ قصدِك من مجيئك أنْ تَخرجنا بسحرِكَ، فأقسِمُ لنأتينَّكَ بسحرٍ مثله، وقد أفاد العطفُ بالفاء سرعةَ التَّعقيب بالردِّ على موسى بمناظرة السِّحر في قَسَمِ فرعونَ، ويصحُّ كون الفاء فصيحةً واقعة في جواب شرطٍ مقدَّرٍ، أي: إذا كان ذلك كذلك - والإله الأعظم - لنأتينَّك[1].

معنى اللام:

القَسَمُ على الوعيد تحقيقٌ لإمكانه، وتقريبٌ لِشُهودِه واستحضارِه

اللَّامُ في قوله: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ﴾ لتأكيدِ جوابِ القسم وتحقيقِه، واللام تدلُّ على القسَمِ المُضمر، والتقدير: (فعزَّتي وجاهي لنأتينَّك)، ولا يقدَّر (والله)؛ لأنَّه من كلامِ فرعونَ، وهو لا يؤمنُ بالله.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 301، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 528، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4742، وصافي، الجدول: 16/ 382.

بلاغةُ التوكيدِ في: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾:

جملةُ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ جوابُ القسم[1]، وعند وقوع جوابِ القسم فعلًا مضارعًا، فيؤكَّد باللام، فإذا كان الفعلُ المضارع مثْبَتًا مستقبَلًا غيرَ مفصولٍ عن لامِه بفاصلٍ؛ وجَبَ توكيدُهُ بالنّون، واللامُ وحدَها تخلِّص المضارع للحال، وقد تحتمِل - مع الحال - الاستقبالَ؛ إذا دلَّ دليلٌ على ذلك، فإذا دخلتِ النّونُ معها؛ خلَّصتِ المضارعَ للاستقبال، فكأنَّهُ قيل: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ فيما بعد وقت الخطاب[2].

إيرادُ المؤكِّدات لاستيعابِ متعلَّقاتها الزَّمنيَّة

دلالةُ تصديرِه كلامَهُ بالقَسَمِ:

تصديرُ فرعونَ كلامَهُ بالقسم في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾؛ ليظهرَ بمظهرِ الواثق، وكأنَّهُ جمعَ أطرافَ النَّصر بين يديه[3]، ولا يخفى ما فيه من قصدِ مبالغتِه في إخفاء قَلَقِه وترهيب موسى وصدِّه، وقرينةُ أنَّه كان يواري بقَسَمِه قَلَقًا يكتُمُهُ: أنَّه رتَّبَ التَّحدّي بالمناظرة على بُهتانٍ اخترعَهُ، لم يتلبَّس به موسى طرفةَ عينٍ، وهذه حيلةُ القلِق الحيران: أنْ يخترعَ خلاف الحقيقةِ ليشغلَ الناسَ عن الاقتناع بها، والنَّظر فيها، ويُلهيهم بما يحجبُهم عن اكتشاف اضطرابه وزعزعة موقفِه؛ لئلَّا يسقطَ من أعينهم، فينهار نفوذُه.

حيلةُ القَلِقِ الحَيْران

دلالةُ نونِ الجمعِ في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾:

ضميرُ جمع المتكلِّم في جملة جواب القسم: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾، إمَّا يعودُ على فرعونَ وحدَهُ، وساقها فرعونُ بصيغة الجمع لتعظيم شأنِه، وهي حالةٌ من جنون العَظَمَةِ التي تعتري الفجَّارَ من ذوي السُّلطة؛ إذا جوبِهوا بما يقطعُهم عن مزاولةِ الانفلات والطُّغيان، ويصحُّ أن يكونَ الجمعُ لإشراك قومِه معه، ليكونوا في

جنونُ العظمةِ بالعلوِّ والطغيان

(1) صافي، الجدول: 16/ 382.
(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 176.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 119.

صفِّه في مواجهة موسى ﷺ ابتدارًا منه وخشيةً أن يستقطبَهم موسى إلى صفِّه.

معنى الباءِ في: ﴿بِسِحْرٍ﴾:

تعلُّقُ الجارِّ والمجرور بالإتيان

الباءُ في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ﴾ للتعدية، ويكون قولُه: ﴿بِسِحْرٍ﴾ متعلِّقًا بالإتيان، وهو الظاهر، أو للملابسة، ويكون ﴿بِسِحْرٍ﴾ متعلِّقًا بمحذوفٍ على أنَّه حالٌ مِنْ فاعلِ الإتيان، أي: ملتبسين بسِحْرٍ[1].

دلالةُ إسنادِ الإتيان إلى السِّحر:

تمثيلُ السِّحر ذاتًا يؤتَى بها

إسنادُ الإتيانِ إلى السِّحر في قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ السِّحرَ باعتباره قوًى متخيِّلة لا يأتي فرعونُ به، بل الذي يأتي به هو السَّاحرُ الذي يظهرُ السِّحرُ على يديه، وفي الإسناد إلى السِّحر مبالغةٌ في عِظَمِه وتأثيره، بتصويره كأنَّهُ يأتي، فيظهرُ بنفسه، أو بتمثيله ذاتًا تأتي لقوَّة نفاذِه.

دلالةُ التَّقييد بالصِّفة ﴿مِّثْلِهِۦ﴾:

الاحتراز من الإذعانِ للحقِّ بتأكيد المغالطةِ والهوى

التقييدُ بالصِّفة ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ فيه تأكيدٌ من فرعونَ على عدم اعترافِه بمعجزةِ موسى ﷺ فما أتى به سحرٌ يواجَهُ بسحرٍ من نفس جنسِه[2] وأصلِه، لكن يفوقه قوَّةً وهوْلًا عند التَّنافس والمناظرة، كما يدلُّ التقييد بالمثليَّة على اعتداد فرعونَ بمستوى السِّحر الَّذي سيواجه به معجزةَ موسى بصورة علنيَّةٍ حاسمة.

دلالةُ الفاءِ في قوله: ﴿فَٱجْعَلْ﴾:

تفريعُ ترتيبِ الموعدِ على الإبعادِ بالتحدّي المُقْسَمِ عليه

الفاءُ في قوله: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ عاطفةٌ أو استئنافيَّةٌ[3]، والمعنى على الاستئنافِ مراعاةُ تمامِ الكلام بالقسم وجوابه، وأنَّ جملةَ ﴿فَٱجْعَلْ﴾ انتقالٌ لاقتراح موعد المناظرة، أو فصيحةٌ واقعةٌ في

(1) السمين، الدر المصون: 8/ 54.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 244.
(3) الخطيب، التفصيل في الإعراب: 8/ 279.

جواب شرطٍ مقدَّرٍ، أي: (إنْ قبِلْتَ اللِّقاء، فاجعل)، ومعنى الفاءِ على احتمالاتِها السابقةِ لا ينفكُّ عن معنى التَّفريع[1]، أي: تفريعُ ترتيبِ الموعد على الإيعادِ بالتحدّي المُقسَم عليه.

دلالةُ موقعِ الظَّرف في قوله: ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾:

تأكيدُ المفاصلةِ والمفارقة بينهم وبينه

موقعُ الظَّرفِ بتقديمه في السياق يفيدُ الاهتمامَ والحصرَ، ولذا لم يقل: (فاجعل موعدًا بيننا وبينك)، ولم يكتفِ في السياق بالبينيَّة الجامعة، فلم يقل: (فاجعل بيننا موعدًا) على إرادة جميع الأطراف، بل فصَّل، وفَصَل، فأسندَ الظَّرفَ مرَّتين إلى ضميرهم وضميرِ موسى عليه السلام ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾ لتأكيد المفاصلةِ والمفارقة بينهم وبينهُ، وهو إيماءٌ إلى تحقُّق الخصومةِ وثبوتها في جانبَين، ولإرادة التحديد والتعيين لخطورةِ الحدث، فإنَّ الوقائع المفصليَّة تقتضي تخصيصًا دقيقًا لأطراف النِّزاع، وتناسبًا مع معنى المفاعلَةِ في المواعدة المستفادة من قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ بالتنبيه على المتشاركين فيها.

دلالةُ صيغةِ (مَفْعِل) واتِّساع معناها:

الاتِّساعُ الدَّلاليُّ في الأبنية

قولهُ: ﴿مَوْعِدًا﴾ جاء بصيغة موجزةٍ في لفظِها، واسعةٍ في مدلولها، فيجوزُ أن يُرادَ به زمانُ الوعدِ، ويرجِّحه قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾، ويجوز أن يرادَ به مكانُ الوعد، والمعنى: (بيِّن لنا مكانًا معلومًا، نعرفُهُ نحن وأنت فنأتيه)، وهذا يؤيِّده قوله: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾، ويجوز أن يكونَ مصدرًا ميميًّا، ويؤيِّد هذا قولُهُ: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾؛ لأنَّ المواعدةَ توصفُ بالخُلْفِ وعدمه[2].

توجيهُ القراءةِ القرآنيَّةِ في قوله: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾:

النَّهيُ هو طلبُ نفي الفعل، فالنَّهيُ والنفي أخوان

قوله: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ في قراءة الجمهور برفع الفعلِ صفةً لـ﴿مَوْعِدًا﴾ باعتبار معناه المصدري، وقرأه أبو جعفرٍ بجزم الفاء من ﴿نُخْلِفْهُ﴾، والنَّهي تحذيرٌ من إخلافه[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 245.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 425، والسمين، الدر المصون: 8/ 54.
(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 320، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 245.

وهي على جواب الأمر، وهو قوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ﴾.

دلالةُ النَّفي بـ﴿لَّا﴾:

الاتِّساعُ الزَّمني في نفي المضارع بـ(لا)

﴿لَّا﴾ النافية في قوله: ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾ أفادتِ الاستقبالَ، فهي تنفي المضارعَ في الحال أو الاستقبال أو الاستمرار بحسبِ سياقِه في الجملة، وإن كان النُّحاةُ يرون أنَّها تخلِّصُهُ للاستقبال[1]، والظَّاهر أنَّها قد تكونُ للحال، كقوله: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢﴾ [الصافات: 92]، و﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ [النمل: 20]، وقد تكون للاستقبال كهذه الآية، وكقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ [البقرة: 174]، وقد تكونُ للاستمرار، وذلك نحو قوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: 255]، وقوله: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [النساء: 148][2].

فائدةُ تكرار (لا) النَّافية:

تـكـرارُ الـنَّـفـي للتأكيدِ

كُرِّرَت (لا) في قوله: ﴿وَلَآ أَنتَ﴾، ولم يُكتفَ بها في أوَّلِ ذِكرها بأن يقال: (لا نخلفُهُ نحن وأنت)، لتأكيدِ نفي عدم الخُلفِ من الجانبَين بالنصِّ عليه مع كلِّ طَرَفٍ، للدَّلالةِ على أنَّ عدمَ إخلافِه لا يوجِب عدمَ إخلافِ موسى ﷺ فقد يقعُ انتفاءُ الخلف من طرفٍ دونَ الآخر[3]، وفي تكرار أداةِ النَّفي - في جهة موسى في خطابِ فرعونَ لموسى - إشارةٌ إلى حرصِ فرعونَ على وفاء موسى بالوعد؛ إظهارًا منه لشدَّة عزمِه وتحقُّقِ إصراره على الإنجاز والإتمام، فليس هو مجرَّدَ اقتراحٍ منه أو تظاهرٍ أو تخلُّص، وفيه: أنَّه غيرُ مُحرَجٍ من موسى بما أراه من الآياتِ التي كذَّبها.

دلالةُ الاحترازِ بضمائر الفصل:

التَّـفـصـيـلُ في الضَّمائرِ لتقرير المُـفـاصَـلـةِ في المواقفِ

لم يَقُلْ في السياق: (لا نخلفُهُ مكانًا سوًى)، بل أتى بضميرَي

(1) الكتاب، سيبويه: 3/ 117.
(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 206.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 24.

التَّوكيد لَهُ ولموسى في قوله: ﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾، ونصَّ على ضمير موسى، مع إمكان أن يقالَ: (لا نخلفه نحن مكانًا)؛ لأنَّ ﴿نَحْنُ﴾ يصلح للدَّلالة عليهما معًا وعلى سائر الملأ، لتأكيد المفاصَلة بالخصومة، فناسَبَ المفاصلةَ في الضمائر، كأنَّهُ قيل: (لا نخلفُهُ نحن، ولا تخلفُهُ أنت)[1]، وقصْدًا منه تفويضَ أمرِ الوعد إلى موسى عليه السلام للاحترازِ عن نسبته إلى ضعف القلبِ، وضيق المجالِ، وإظهارِ الجلادةِ، وإراءة أنَّه متمكِّنٌ من تهيئةِ أسبابِ المعارضة[2]؛ ليظْهرَ كمالُ اقتداره على الإتيان بمثلِ ما أتى به موسى[3]، ولنكتةٍ بديعةٍ: هي الإشارةُ إلى أنَّ عدمَ إخلافِ أحدِ الطَّرفين لا يستلزمُ ألَّا يقعَ الإخلافُ مِنَ الآخر، ولذا نصَّ على الضَّميرين.

دلالةُ تقديمِ ضمير التكلُّمِ على الخطاب:

الإيـــــذانُ بالمسارعةِ إلى عدمِ الإخلاف

تقديمُ فرعونَ ضميرَه على ضميرِ موسى - في قوله: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ - للإيذانِ بمسارعته إلى عدم الإخلاف[4]، وأنَّه سابقٌ بالحرصِ قبلَهُ، واستحضارًا منه لمقامه في العزَّةِ والمُلْك، فلا أحد يتقدَّمُ عليه في نظره في القولِ والفعل.

دلالةُ التَّصريحِ بضمير الخطابِ:

الـجـمـعُ بين الحزمِ واللّينِ أمـــارةُ كياسةٍ وسياسةٍ

في استعمال فرعونَ للضَّمير ﴿أَنتَ﴾ في خطابِ موسى عليه السلام في قوله: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ احتمالُ إشارتِه إلى التَّلطُّف مع موسى بالتصريح بضميره، كأنَّهُ بذلك يتعمَّدُ إظهارَ اعتداده بموسى واعتباره له، وهذا من كياسة الملوكِ وسياستهم، في الجمع بين الحزمِ واللّين في بعض الأحايين.

(1) ابن مالك، شرح التسهيل: 3/ 372، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/ 253.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 24.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 438.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 24.

دلالةُ جملةِ الفاصلةِ: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾:

تتعدَّدُ وجوهُ الإعراب تبعًا لتنوُّعِ المعاني المحتملَةِ

﴿مَكَانًا سُوًى﴾ منصوبٌ بفعل مقدَّرٍ يدلُّ عليه المصدرُ، أي: عُدَّ مَكانًا، أو على أنَّهُ مفعولٌ ثانٍ لـ﴿فَٱجۡعَلۡ﴾، أي: فاجعل موعدًا مكانًا، وذلك على أنَّ ﴿مَوۡعِدًا﴾ مصدرٌ[1]، أو على أنَّهُ بدلُ اشتمالٍ من ﴿مَوۡعِدًا﴾ بأحد معنييه؛ لأنَّ الفعلَ يقتضي مكانًا وزمانًا، فأُبدِل منه مكانه[2]، كأنَّهُ قيل على حذفِ مضاف: (فاجعل مكانَ موعدٍ مكانًا سوًى)[3].

إيثارُ ذِكرِ المكانِ دونَ الزَّمان:

الزَّمانُ والمكانُ متلازمانِ لا ينفكَّانِ

آثرَ ذِكرَ المكانِ دون الزَّمانِ في قوله: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ لأجل وصفِه بقوله: ﴿سُوًى﴾، أي: عدلًا بيننا في موقعه ومسافته وحيادِه في الحكْم، فيكون كنايةً عن الإنصافِ والعدالة والسّواء المعنوي بضمان النَّصَفَةِ وعدم الانحياز، وهذه الأمورُ يوصفُ بها المكانُ دونَ الزمان، فضلًا عن أنَّ كلًّا من الزَّمان والمكان لا ينفكُّ عن الآخرِ، فالزمانيَّةُ لازمةٌ لا تنفصلُ[4].

دلالةُ الوصفِ بـ﴿سُوًى﴾:

الجمعُ بين الدلالةِ الحسيَّةِ والمعنويَّةِ

وصفُ ﴿سُوًى﴾ وهو اسمُ وصفٍ مشتقٍّ من الاستواء بمعنى الوسط، وزنه (فُعَل) بضمِّ الفاء أو كسرها يُجمع بين الدلالةِ الحسيَّةِ والمعنويَّةِ للاستواء، فعلى المعنى المحسوس: هو وصفٌ للمسافة، أي: مكانًا تستوي مسافتُهُ بين الفريقَين، أو هو وصفٌ لجغرافيَّة المكان أي: مكانًا مستويًا لا يكون فيه ارتفاعٌ ولا انخفاضٌ حتى يشاهدَ كلُّ الحاضرين ما يجري متساويين في ذلك، وعلى الدَّلالة المعنويَّة: مكانًا يستوي حالُ جميع الأطراف في الرِّضا والقبولِ به، أو مكانًا

(1) الخطيب، التفصيل في الإعراب: 8/ 281.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 245.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 31.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 302.

يتحقَّق به العدلُ والانتصاف، فتستوي حالنا فيه، وتكون المنازلُ فيه واحدةً، لا تُعدُّ فيه رئاسةٌ ولا سياسة، بل يتَّحد هناك الرئيسُ والمرؤوسُ والسائسُ والمَسوسُ[1].

بلاغةُ الكنايةِ في تركيب ﴿مَكَانًا سُوًى﴾:

الانكشافُ التامُّ لقضايا الرأي العام

قولُهُ: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ كنايةٌ عن إرادة الوضوحِ، وإظهارِ الجَلادةِ وقوَّةِ الوثوقِ بالغلبةِ؛ لأنَّه عبارةٌ عن الانكشاف التامِّ في إجراءاتِ المناظرة وفعاليَّتها، فيلزم عنه ذلك[2].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 63، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 529.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 529.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»